أصبحنا على فطرة الإسلام

عن عبد الرحمن بن أبي أبزى أن النبي ﷺ كان يقول إذا أصبح وإذا أمْسَى:

«أصبَحنْا (أمْسَينْا) على فِطْرة الإسْلام، وكَلِمَة الإخْلاص، ودِينِ نَبيّنَا مُحَمّدٍ ﷺ وملّةِ أبينَا إبراهِيم حنيفًا مُسلمًا وما كَانَ من المُشْرِكين»[1].

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٤٩٣٨)، والدارمي برقم (٣٦٨٨)، وصححه الألبانى في صحيح الجامع برقم (٤٦٧٤)، والمشكاة برقم (٢٤١٥)، والسلسلة الصحيحة برقم (٢٩٨٩).

obeikandl.com

المعنى العام للحديث

* أصبحنا على فطرة الإسلام: أي أدركنا الصباح ودخلنا في وقته بفضل الله سبحانه، أو أدركناه ونحن على دينه الحق، وسنة الهدى والنور.

* وعلى كلمة الإخلاص: أي ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

* وعلى دين نبينا محمد ﷺ: أي ونحن على دين الإسلام ولعل النبي قال ذلك تعليمًا لغيره أو ليُسْمِعَ غيرَه.

* على ملة أبينا إبراهيم حنيفًا: أي على دين إبراهيم الذي مال إلى الحق ملتزمًا الصراط المستقيم، مبتعدًا عن الشرك وأهله.

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: الإسلام دين الفطرة:

تَذَكّرْ وأنت تقول هذا الذكر العظيم أن الإنسان حين يُولد فإنما يُولَدُ على الفطرة أي: الخير والهدى، وأن الشر فيه أمر عارض، لأن الذي فَطَره وخلقه أوجده على الخلق القويم، والطبع السديد ولكن البيئة الفاسدة والتي تتوافق مع هواه وشهواته هي التي تُفسده وتُلَوِّثُهُ.

كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جَمْعاء هل تحسّون فيها من جَدْعاء**»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الروم](١).

روعة بيان

* ما أجمل أن تتدبر بلاغة النبي ﷺ الذي أُوتي جوامع الكلم وأطيبه، حيث قال: (على) وهو حرف استعلاء كقولك: (جلست في المكتب): أي علوته، وهنا تمثيل لحال المقر بفطرته، والمعترف بجميل رَبِّه عليه بهيئة الراكب على المركوب، وهو متمكن من قياده وتصريفه، فكأنك بهذا الحرف (على) تقول أنا متمكن من إسلامى، مصاحب له بلا افتراق كتمكن قائد الدابة من دابته.

فيا من أقررت بفطرتك، وأعلنت تمسكك بدين الحق. مالك لا تعلو على سفاسف الأمور وتسمو فوق صغائرها!

الحقيقة

واعلم أن لكل قول حقيقة، وحقيقة اعترافك بنعمة الإسلام:

* أن تُسَلِّم أمرك لله فتخضع لأمره وتُطيع حكمه.

* أن تَسْلَمْ من أدواء الأثرة والأنانية وحب الذات.

* أن تُسَالِمَ إخوانك؛ لأن إسلامك إسلام خير وسلام مع النفس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

* أن تنسجم مع الكون في عبادته لله وخضوعه له.

---

(١) متفق عليه: البخاري برقم (٦١١٠)، ومسلم برقم (٤٨٠٣).

كما قال ﷻ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء].

وكما قال النبي ﷺ «لَيْسَ شَيءٌ إِلَّا وَهُوَ أَطْوَعُ للَّه تَعَالَى مِنْ ابْنِ آدَمَ»(١).

وأطلقها لك (عبد الله بن عون) التابعي المصري: أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب وثوبه الذي يلبس أكثر ذكرًا لله منه؟!!(٢).

أَرَأَيْتَ نَجْمًا فِي المَجَرَّةِ كُلِّهَا ... تَرَكَ المَجَرَّةَ وَاسْتَخَفَّ المَقْصِدَا

وَلَوْ حَادَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عَظِيمُهَا ... لَهَوَى مِنَ العَلْيَا وَدُكَّ وَجُدِّدَا

كما أن النجم إذا ترك مداره الذي حدده الله له احترق، كذلك الإنسان الذي يخرج عن مدار طاعة ربه، ومسار الخشوع يحترق ليس في الدنيا بل في نار جهنم(٣).

وفاء وعهد

اعلم أن إعلانك أنك مسلم ما هو إلا عقد بيعة بينك وبين الله، بأن تستسلم له وحده خاضعًا لأمره، متبعًا لحكمه. فيا أخي هل أنت كذلك؟! عندما جاء البشير إلى (يعقوب) عليه السلام سأله كيف يوسف؟ قال: هو مَلِكُ مِصْرَ.

فقال يعقوب: **ما أصنع بالملك على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام قال يعقوب عليه السلام الآن تمت النعمة**(٤).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده برقم (٤٣٧٤)، والطبراني في الصغير برقم (٩٠٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٣٩٣).

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني (٤/ ٣٦٤).

(٣) هبي يا رياح الإيمان، ص٧٧.

(٤) تفسير النسفي (٢/ ١٢٨).

وقال عليٌّ ﷺ: «أيها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره، فالسيئة فيه تغفر والحسنة في غيره لا تُقْبَل[١].

فأعلنْهَا وقل:

أسلمْت وجْهِى لِمَنْ أسلمَتْ ... له الأرضُ تحمِلُ صَخْرًا ثِقَالا
أسلمْتُ وجْهى لِمَنْ أسلمتْ ... له المُزْنُ تحمِلُ عَذْبًا زُلالا[٢]

ولتتدبر قوله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران].

عتاب ومصارحة

قبيح بك أن تُكَذِّبَ فعالك أقوالك ألست مقرًّا بالإسلام وشرائعه؟ ألم تعلن اعترافك بهذا الدين؟

فَلِمَ الغش والنفاق، والكذب والرياء، والتعالي والغرور؟ والربا والاحتكار؟ والظلم والطغيان؟ وقطع الأرحام و إساءة الجوار؟ أهذا سلوك مسلم مقر- حقًّا- بالإسلام؟!

أي إسلام يسلم لك وأنت ترى محارم الله تُنتهك، وحدوده تضيع، وشرائعه تنتقص، ودينه يحارب، ورسوله يسب، وهديه يرفض، وأنت ساكت اللسان، بارد الإحساس؟!

ميت الأحياء

* سئل حذيفة بن اليمان ﷺ عن ميت الأحياء فقال: «الذي لا ينكر

(١) حدائق الروح (٤/ ٢٢٩).

(٢) السيرة النبوية، لابن كثير (١/ ٩٦).

المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه»[١].

فاستشعر أنك على فطرة الإسلام، متمسك بهذا الدين، مدافع عنه، ساعٍ لنشر قيمه، سام به وبمبادئه فلم تتدنى وتلتمس الهدى في غيره، وتستمد الحكم من سواه؟!

فقم وانهض وقل:

نحنُ بالإِسْلامِ كُنَّا خَيْرَ مَعْشَرٍ ... وَحَكَمْنَا باسْمِهِ كِسْرى وقَيصر
وزَرَعْنا العَدْل في الدّنْيا فأثمَرْ ... ونَشَرْنا في الورى الله أكبر
فاسْألوا إنْ كنتموا لا تعلمون ... مسلمون مسلمون مسلمون
يا أخي في الهِنْدِ أو في المَغْرِب ... أنا مِنْكَ أنت مِنِّي أنت بي
لا تَسلْ عَنْ عُنْصُرِي عن نسبي ... إنه الإِسْلَام أُمِّي وأَبِي
إِخْوَةٌ نحن به مُؤْتَلِفُون ... مسلمون مسلمون مسلمون
نحنُ بالأخلاق نَوَّرْنَا الحياةَ ... نَحْنُ بالتَّوْحيدِ أَعلينَا الجِبَاهُ
نحنُ بالبتَّار أدّبنا الطغاةَ ... نحنُ للحق دُعاةَ ورعاةُ

ذلكم تاريخكم يا مسلمون[٢]

قال ابن الجوزي: اعلم أن الإسلام في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: اسم الدين الذي تدين به، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والثاني: التوحيد ومنه قوله ﷻ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٢/ ٣٣٨).

(٢) نفحات ولفحات، د. يوسف القرضاوي، ص١١٥.

والثالث: الإخلاص «إخلاص العبادة للّه»، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة].

والرابع: الاستسلام، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ١٨٣].

والخامس: الإقرار باللسان، ومنه قوله ﷻ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

* ويمكن أن يضاف إلى ذلك وجه سادس هو الإقرار باللسان والعمل بالأركان(١).

❁ ❁ ❁

الوقفة الثانية: كلمة الإخلاص: (لا إله إلا الله):

- استحضر روعة هذه الكلمة التي من أجلها أرسلت الرسل ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]. أي أخلصوا عبادتكم لله وحده، واهجروا عبادة كل ما سواه.

فاشكر ربك واحمده على أن مَنَّ عليك بنعمة الحياة وأنت على توحيده، وإفراده بالعبادة والإخلاص له والإنابة إليه، والخوف منه، والخضوع لأمره، فليس بمسلم من يعبد غير الله أو من يستكبر عن عبادة مولاه وخالقه.

جوائز ربانية

قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ**

(١) نضرة النعيم (٢/ ٣٢٣).

وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ علَى اللهِ ﷻ»[١].

وقال أيضًا ﷺ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ»[٢].

وصدق (سفيان بن عيينة): «ما أنعم الله على عباده أعظم من أن عَرّفهم لا إله إلا اللّه»[٣].

* لأنها تعني وضوح الفكر، وحرية القلب، إذ الكل معبود لله وحده منقاد لمنهجه، خاضع لحكمه.

* ولأنها منهج الحق، وطريق العدل، وسبيل الاطمئنان، فلا خوف على رزق ولا حاجة إلى نفاق، فالأمر كله بيد الله الواحد الأحد الرزاق المنان.

* لأنها ترفع صاحبها إلى قيم، وموازين السماء، وأحكام السماء، فلا طغيان ولا كهنوت ولا دجل ولا شعوذة.

تصحيح فهم

اعلم أن كلمة الإخلاص ليست لفظًا يُقَال بل منهجًا يتبع، يشمل حياة الإنسان كلها روحًا وجسدًا، دنيا ودين، خيرًا يُرى، وعقيدة ذات تكاليف، فاللّه هو الإله المعبود الذي تألهه القلوب وتحبه وتخضع لأمره، وتلجأ إليه في الشدائد، وتدعوه لتيسير الأمور، فلا اطمئنان إلا به ولا توكل إلا عليه، ولا خوف إلا منه، ولا ثقة إلا فيه ولم تنزل لتكون مجرد كلمة تُنْطَق، أو ذكرًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (١٢٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٣٥٥).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢)، شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ١١٩).

يُتلى، إنما أنزلها المولى سبحانه لتَرْفَع العبيد من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن الجور إلى العدل، ولتكون حقيقة تملأ القلب كله بعلم اليقين.

الله الذي لا إله إلا هو: وعلى أساس هذا المعبود تتحدد السبل والطرائق والمناهج في الفكر، والسلوك، والاعتقاد، والاقتصاد بل على أساس هذا المعبود يتحدد مصير العبد في الآخرة: إما الجنة وإما النار.

* كلمة الإخلاص هي القطب الدائر، والأساس الثابت الذي تنطلق منه تعاليم الإسلام.

ولتتذكر قوله: (اللهم بك أصبحنا)، أصبحنا وأصبح الملك للّه)، (اللهم أنت ربي)، (اللهم عافني في بدني) (اللهم فاطر السموات والأرض).

وغيرها من الأدعية والأذكار لتنادى عليك:

* أن ها هنا الحياةَ الحقة، والسعادة الحقة، والجزاء الأوفى.

* أن ها هنا رد ما يكشف الضر، ويرحم المحتاج، ويغيث الملهوف، ويغفر الذنب، ويستر العيب، ويجيب السائل، وينصر المظلوم.

* أن ها هنا رَبًّا قادرًا، سميعًا بصيرًا، فاعبده، وتوكل عليه، وتطلع إليه تفز بالخير كله.

الوقفة الثالثة: وعلى دين نبينا محمد ﷺ:

* أصبحت اللهم بفضلك، وكرمك، حيًّا أنْطِقُ وأشهد وأقرّ بأنّي على دين نبينا محمد ﷺ (دين الإسلام).

* وأجمل به دينًا يُطهرُ القلوب من الأحقاد، والتصوّرات من الضلال،

والمشاعر من التيه، بل والحياة كلها والدنيا بأسرها من كل شر، وسوء إذ يعلمنا كيف تكون العلاقة بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب.

* تحقق بآداب عبوديتك يُكرمك بجلب ربوبيته، وتحقق بضعفك وعجزك، يُكرمك بحوله وقوته، وتحقق بفقرك، يكرمك بكرمه وجوده، وتحقق بانكسارك وذُلّك، يكرمك بعزته وهيبته، تحقق بالإسلام كله لتستقيم حياتك كلها

* **دين محمد ﷺ**: استسلام وخضوع، طاعة واتباع، ولاء للحق وأهله، براء من الكفر وحزبه.

* شعاره الفضيلة وآدابه الخير كله، قوامه العدل والقسط.

* أعليْنا به منابر للعلم ينهل منها كل مشتاق، وأحييْنا به القلوب وأَنَرْنَا به العقول.

* عمّرنا الدنيا بأسرها بالقيم، ورفعنا به رايات الهدى ينهل منها كل صالح، فَمَنْ أنت بغيره، بل مَنْ الدّنيا بأسْرِها بسواه؟

الله تعالى رَضِيَ لك هذا الدين، فلم لا ترضى ما رضيه لك مولاك قبل أن تولد؟.

❁ ❁ ❁

اعتراف نبي كريم

تأمل أخي قوله ﷺ: (وعلى دين نبينا محمد ﷺ) كيف يقول هذا مع أنه الناطقَ، الذاكر؟

لأن هذا القول اعتراف منه بفضل ربه عليه الذي أكرمه بالنبوة واصطفاه

بالرسالة وخصّه بالوحي.

* لأن في هذا إرغامًا للكافرين، والمنافقين فهو رسول الله حقًّا، ولو كره الظالمون.

* لأن في هذا إعلانًا بالالتزام بأوامر ربه، والتقيد بها، فهو مُبَلِّغٌ عن مولاه ما أَوْحَى به إليه.

* لأن في هذا إعلانًا بالإصرار على تحمّل الأمانة، وإبلاغ الرسالة، عَاداه مَنْ عادى، وآمَنَ به مَنْ آمن وكذّب به مَنْ كذب، فهو يُعلنها: أنا نبيك، أنا عبدك على الدين الذي أمرتني به قال ﷻ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام].

❁ ❁ ❁

الوقفة الرابعة: وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين.

* الملة والشريعة بمعنى واحد: وهي الأحكام التي شرعها الله تعالى لعباده للتعبد بها:

* فمن حيث إملاء الرسول إياها علينا تسمى «ملة».

* ومن حيث إنها شرع الله على لسان رسوله تُسَمّى «شريعة».

* ومن حيث إنا نتدين بها تسمى أيضًا «دينًا»[1].

(١) حدائق الروح (٢/ ٢٩٥).

* **حنيفًا**: مائلًا إلى الدين الحق، ومائلًا عما سواه، مستقيمًا على أمر ربه.

* مائلًا عن الزيغ والضلال، والوثنية وأهلها، متبرئًا مما كان عليه الكفر وأهله.

* **مسلمًا وما كان من المشركين**: مستسلمًا للّه، خاضعًا له، منيبًا إليه، خائفًا منه بريئًا من الشرك وأهله وصوره وسبله.

وقوله ﷺ: **وما كان من المشركين** احتراس لئلا يعتقد المشركون بقوله «ملة إبراهيم» أنهم على الحق. قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة]؛ لأن العبرة هنا بالاعتقاد والسلوك لا بالأقوال والمظاهر.

❋ ❋ ❋

إيقاظة عقل

أليس الإسلام هو دين محمد ﷺ، وهو نفسه ملة إبراهيم عليه السلام؟ إذًا فَلِمَ العطف هنا؟

* بلى إن دينهما واحد مع زيادات اختص الله بها (محمدًا ﷺ) وصار المتبع له متبعًا (لإبراهيم عليه السلام).

وخُصّ إبراهيم عليه السلام بالذكر:

١- لأنه القدر المشترك الذي يجمع الكفار وأهل الكتاب، فكفار قريش

وهم سدنة البيت الحرام يفتخرون بالانتساب إليه، واليهود يعتزون بالانتساب إليه ويقولون هو يهودي، والنصارى يعتزون بالانتساب إليه ويقولون هو نصراني، فأنزل الله بيانه الحق وقوله الفصل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]

٢- لسمو قدر هذا العبد الصالح والنبي المرسل. فمن كإبراهيم عليه السلام!

٣- سليم الفطرة، نقي القلب، ذكيّ الروح، واسع المعرفة، عظيم التوحيد، كامل الطاعة، من أجل ربه أحبّ وأبغض، وناصر وعادى، كان نعم العبد فنال نعم الجزاء، صارت له النار أمنًا وسلامًا، ونزل الفداء له جزاء فصار ذكره عبادة، وزيارة مقامه طاعة.

٤- (إبراهيم) الذي لبّى أمر ربه دون انزعاج، واستسلم بلا اضطراب، وخضع في رضا وقبول.

٥- (إبراهيم) الذي جاد بكل شيء، وأعز شيء حتى كاد أن يذبح ولده لولا فضل ربه سبحانه.

٦- (إبراهيم) الذي علّمنا كيف نستسلم لله راضين واثقين، وعلمنا أن الله ﷻ لا يريد عذابنا بالابتلاء ولا قهرنا به؛ بل يُريدنا طائعين خاضعين مستسلمين مخلصين، خالصين له.

❁ ❁ ❁

ثمار الذكر

الثمرة الأولى: أن تستشعر روعة الإسلام، وسمو شرائعه، وأن تعلم أن هذا المعتقد لا يلتقي أبدا مع الشرك وصنوفه، فلا بد أن يترسخ في قلبك: أنه

لا رباط إلا رباط الدين، ولا ولاء إلا ولاء العقيدة. فها نحن نذكر أبانا إبراهيم عليه السلام رغم مَرِّ السنين والأعوام، ولكن ذكراه ماثلة في القلب، وملتّه السمحة حيّة في الفؤاد.

فنحن المسلمين أتباع إبراهيم ومحمد عليهما السلام :

* تربط بيننا العقيدة وإن تناءت بنا الديار، وتوحّدُنا القيم وإن اختلفت الألسن واللغات، وتَجْمَعُنا الجنة وإن تباعدت الأيام والسنون. فاجعل ولاءك لهذه الملة ومن اعتقدها، والْتزمَ هديهَا، واجعلْ بغضك لمن عاداها وحاربها.

❁ ❁ ❁

الثمرة الثانية: اعلم أن هذا الحديث هو مادة امتحانك في القبر:

* **من ربك:** الذي أحببته، واتبعت أمره، وسلكت سبيله؟

* **ما دينك:** الذي عشت عليه، وجاهدت من أجله، وسعيت لرفع رايته؟

* **من نبيك:** الذي سرت سيره، واقتديت بفعله؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم].

❁ ❁ ❁

الثمرة الثالثة: ذكرك لله سبحانه، وانتسابك إلى الإسلام، نعمة وفضل وتشريف فأين التكليف؟ ألا تعلم أن دينك أمانة ستسأل عنها بين يدي الله ؟ ألا تعلم أن نبيك أمانة ستُسْأَل عن هديه يوم الدين؟

* أسألك، وأجب أنت لنفسك واصدق: **ما دورك اليوم ما واجبك تجاه دينك؟**

الناس -اليوم- أحدثوا، وبدّلُوا وغيّروا: فالقرآن مهجور، والسنة متروكة، والبدعة مشروعة، والكفر مباح، والحق محارب، والصالح مطرود، والشرع متروك، ولعشاق الهوى راية، ولأرباب الهدى زراية، وللمراقص مكان، وللعشيقات منزلة، ولعباد البقر دولة!!

فأين دورك يا أخي؟ سل نفسك: ما دليل صدقك في هذا الذكر الذي ذكرته، وأقررت به؟!

حسرة وألم

يا رسول اللّه[1]: لو رَدَّ الله عليك روحك، وخرجت من قبرك تتفقد أحوال أمتك، لهالك ما استشري فيهم من تبرج النساء، وضلال الأدباء، وتفشي الداء، وفساد الشباب، واتباع الهوى، والمجاهرة بالفسق، والإعلان بالخطيئة، والمباهاة بالحرام، والتبجح بمبارزة الرب بالمعصية.

يا رسول اللّه: صار قدواتهم فساقهم، وشرارهم أئمتهم، ونجومهم فجارهم، وصاروا أصحاب الصوت والضوء، وامتلكوا البر والبحر والجو، فرغباتهم أوامر، وإفسادهم إصلاح، وضلالهم إرشاد، وظلمتهم نور، وأمتك، تُغْوَى فتغوي، وتُضَل فتَضِل، وتُسَاق إلى حتفها كما تُسَاق الشاة، لا تدري أن السكين ينتظرها آخر الطريق، حتى إن بعض الصالحين، فرّوا من البلوى زعموها تقوى، وانسحبوا من معارك الحياة حسبوها نجاة، الفكر

(١) انظر: صفقات رابحة، د. خالد أبو شادي، ص١٧٨ وما بعدها.

عندهم موجود، لكن الروح ميتة، والعزائم خائرة، صدق فيهم قول القائل:

أرى التفكير أدْرَكَه خُمُولُ ... ولم تَعَدْ العزائمُ في اشْتِعالِ
وأصْبَحَ وعظُنا من غيرِ سِحْرٍ ... ولا نورٍ يُطلُّ من المقالِ
وجَلْجَلَةُ الأذانِ بكل صوتٍ ... ولكنْ أينَ صوتٌ من بلالِ؟
مَنَابِرُكُمْ علَتْ في كلّ حيّ ... ومسْجِدُكُمْ من العُبَّادِ خالِ[1]

❁ ❁ ❁

أليس هذا حالنا؟ واللّه إن قعودنا عن تغيير هذه المنكرات لهو جريمة قتل متعمدة، نقتل فيها الأمانة التي حَمَّلنَا الله إياها، واستودعها رسول الله ﷺ أمانة عندنا ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

يا أتباع محمد ﷺ: مُرُوْا بالمعروف وانهوا عن المنكر، كل شمعة تضيئ تعني ظلامًا يتبدد، كل تقدم بمعروف يساوي انسحابًا لمنكر، أقيموا الدين يا أتباع الدين، أحيوه في قلوبكم وفي بيوتكم وفي أعمالكم وفي حركاتكم وفي سكناتكم، في حياتكم، كل حياتكم، بل حتى الممات.

يا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالصلاح.... أين الإصلاح؟! يا من أغناهم الله بالهداية، أين زكاة الهداية؟!

يا من خرجوا من متاهة الضلال إلى نور الهدى .. أين حق الصحبة؟!

يا من جاهد نفسه .. أنفق ينفق عليك، ألم تقرأ قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

(١) موسوعة المقالات العلمية، مقال بعنوان: بيت أسس على التقوى.

ارحموا من ضل الطريق، وافتقد الرفيق.. أفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقكم اللّه، لا تبخلوا ولو بكلمة... نصيحة... لفظة... نظرة... فالأرض عطشى تنشد ماءكم، والناس هلْكَى ترقب روحكم. واللّه من وراء ذلك يُحصي أعمالكم ليجزل ويتفضل.

لا تتركوا هذا الذكر حتى تعملوا بما فيه، ولا تعودوا بعده كما بدأتم، لبّوا نداء الله بقولكم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧]، ولا تكونوا ممن صموا آذانهم عن سماع الحق ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

فطرة هُدهُدية

هذا هدهد نبي الله سليمان ﷺ لما غاب في جولة من جولاته، فاجأه منكر من أفظع المنكرات، أناس يسجدون للشمس من دون الله، فيرجع إلى سليمان مُنكرًا بقلبه، ولسانه طالبًا منه التدخل، **عرض الفساد الاجتماعي** فقال: ﴿وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٣]؛ **وحلّل سبب ذلك في قوله** ﷻ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، **وعرض الفساد العقائدي فقال:** ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤]، **وحلل سبب ذلك في قوله تعالى:** ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم تعجب ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝﴾ [النمل].

سبحان اللّه.. هدهد صغير علم وجوب الدعوة إلى اللّه، فطرةً لا اكتسابًا، وبداهةً لا تعلمًا، وغيره من البشر يُناقشك الساعات الطوال، يطلب

obeikandl.com

إليك أن تبرهن له معلوم من الدين بالضرورة!!

علم الهدهد هذا وعمل بمقتضاه فكافأه الله بأن أنقذه من الذبح، وجعل إيمان أهل اليمن كلهم على يديه، بل كرمه بأن نهى عن قتله، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ الصُّرَدِ وَالضِّفْدَعِ وَالنَّمْلَةِ وَالْهُدْهُدِ»(١).

أسألك قائلًا: ألم يتحرك فيك النبض سريعًا وأنت ترى الركع السجود؟! ألم تثر نخوتك تدنيس أعراض أخواتك العفيفات هناك على أرض فلسطين والعراق والشيشان وأفغانستان والبلقان وغيرها؟ ألم يحل عقدة لسانك ويطلق صرخات الألم منك قطع ألسنة المؤذنين على أرض ليبيريا؟ ألم يزهدك في متابعة مباريات الكرة اللهو برؤوس أئمتنا في البوسنة والهرسك؟

أنَّى اتجهتَ إلى الإسْلامِ في بلدٍ وجدْتُهُ كالطَيرِ مَقْصُوصًا جَنَاحَاهُ

أين إيمانك وأين توحيدك؟ بل أين إنسانيتك؟ بل أين معاني النخوة والرحمة في قلبك؟

أما بلغك حديث المصطفى ﷺ: «**مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرًا مُسْلِمًا عِنْدَ مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ ﷻ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ...**»(٢).

فإن لم يحركك دينك وشهامتك، فليحركك خوفك من أن تلقى هذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٢١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٩٧٠).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٦٤١٥) وأبو داود برقم (٤٢٤٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٩٠).

المصير، وتؤول إلى ذات المآل.

❋ ❋ ❋

أخي أتسمعني؟!

أناديك.. أين أنت؟ أين قلبك؟ ولك في النساء قدوة، يا من جعل الله له القوامة على النساء، انظر إلى ما فعلت هذه المرأة بقومها.

امرأة تبعث أمة:

المرأة اسمها (ميسون)، والمكان: دمشق، والزمان: يوم من أيام سنة (٦٠٧) هجرية، والمحنة: هجوم الصليبيين الغزاة كالطوفان يُدمر كل من يقف أمامه، ومحنتها: استشهاد إخوتها الأربعة في جهادهم المقدس.

ماذا يمكن أن تفعل امرأة عزلاء في مواجهة هذه الجحافل؟ امرأة صاغها الإيمان خُلقًا آخر، فقلبت الموازين، نزل الإيمان قلبها، فإذا بها تحس في عضلاتها القوة التي تهز دمشق هزًّا، وفي حنجرتها الصوت الذي يسمع الأموات، وفي قلبها العزم الذي لا يكل، جمعت النساء اللاتي حضرن يواسينها ويعزينها وقالت لهن: إننا لم نُخلق رجالًا نحمل السيوف، ولكن إذا جبن الرجال لم نعجز نحن عن العمل، هذا واللّه شعري، أثمن ما أملك، أنزل عنه أجعله قيدًا لفرسٍ تقاتل في سبيل اللّه، لعلي أحرك به هؤلاء الأموات، وأخذت المقص فجزّت شعرها، وصنع النساء صنيعها، ثم جلسن يضفرنه لجمًا وقيودًا لخيل المعركة الفاصلة، لا يضفرنه ليوم الزفاف أو ليلة عرس، وأرسلن هذه القيود واللجم إلى خطيب الجامع الأموي (سبط ابن الجوزي)، فحمله إلى الجامع يوم الجمعة، وحبس هذه اللجم والقيود بين يديه، والدمع يترقرق من عينيه، حتى قام وخطب خطبة مؤثرة وكان منها

قوله: «يا من أمرهم دينهم بالجهاد حتى يفتحوا العالم، ويهدوا البشر إلى دينهم، فقعدوا حتى فتح العدو بلادهم وفتنهم عن دينهم، يا من باع أجدادهم نفوسهم من الله بأن لهم الجنة، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة ولذائذ حياة ذليلة.

يا أيها الناس:

ما لكم نسيتم دينكم، وتركتم عزتكم، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم، وحسبتم أن العزة للمشرك، وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

يا ويحكم، أما يؤلمكم مرأى عدو الله وعدوكم، يخطو على أرضكم التي سقاها بالدماء آباؤكم يُذلكم ويتعبدكم، وأنتم كنتم سادة الدنيا؟!

أما في البلد عربي؟! أما في البلد مسلم؟ إ أما في البلد إنسان؟!

العربي ينصر العربي، والمسلم يعين المسلم، والإنسان يرحم الإنسان..

يا أيها الناس: إن لم تكونوا من الفرسان، فأفسحوا الطريق للنساء واذهبوا فخذوا المكاحل يا نساء بعمائم ولحى!! خذوا هذه اللجم وهذه القيود؟

لقد صنعها النساء من شعورهن؛ لأنهن لا يملكن شيئًا غيرها.

خذوها فاجعلوها لكم ذوائب وضفائر، إنها من شعور النساء، ألم يبق في نفوسكم شعور؟! وألقاها من فوق المنبر على رؤوس الناس الذين تأثروا، وثاروا لدينهم فكان النصر العظيم على الصلبيين[1].

---

(١) قصص من التاريخ -علي الطنطاوي- ط المكتب الإسلامي ص(١٤٣-١٤٥)، وهي خطبة من إنشاء الشيخ علي رحمه الله يصور فيها ما قاله سبط ابن الجوزي وليست خطبة سبط ابن الجوزي نفسها كما أشار هو إلى ذلك في آخر طبعة من طبعات الكتاب الصادرة عن دار المنارة بجدة.

عند التسليم

قال عبد الوهاب عزام:

«كم من مُسَبّحٍ أيقَظَ لسانه وأنام قلبه، وحرّكَ بنانه وسكن لبه، وكم من مُصَلٍّ أطال الصلوات وَهَام من الغيّ في فلوات، وكم من واعظٍ صَقَل بيانه وأغفلَ جنانه، وكم من داعيةٍ ينصر قوله الفضائل، ويعجب فعله الرذائل.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾: [النساء: ٦٥]، نعم: فلا وربك لا يؤمنون:

حتى يكون الفعل على اللسان رقيبًا، والضمير على البيان حسيبًا، وحتى تظهر الجوارح ما تكن الجوانح، وحتى تكون عبادتك في قلبك ضياء، وفي عزمك مضاء، وفي نفسك أملًا، وفي كفك عملًا[1].

(١) صفقات رابحة، الدكتور خالد أبو شادي، ص١٨٦.

obeikandl.com